وساوس العرب وتخيلاتها

لحضرة الكاتب البليغ محمد بك المويلحي

وكانوا اذا غُمَّ عليهم امر الغائب ولم يعرفوا لهُ خبرًا جاءوا الى بئر عادية او حفر قديم ونادوا فيهِ يا فلان ثلاث مرات ويزعمون انهُ ان كان ميتًا لم يسمعوا صوتًا وان كان حيًّا سمعوا صوتًا ربما توهموهُ وهمًا او سمعوهُ من الصدى فبنوا عليهِ عقيدتهم . قال بعضهم

دعوت ابا المغوار في الحفر دعوةً فما آض صوتي بالذي كنت داعيا
اظن ابا المغوار سيفي قعرِ مظلم نجرُّ عليهِ الداريات السوافيا

وقال آخر

غاب فلم ارجُ لهُ ايابا والحفر لا يرجع لي جوابا
وما قرأت منذ نأى كتابا حتى متى استنشد الركابا
عنهُ وكلٌّ يمنع الخطابا

وقال آخر

الم تعلمي اني دعوت مجاشعًا من الحفر والظلماء بادٍ كسورها
فجاوبني حتى ظننت بأنهُ سيطلع من جرفاه صعب حدورها
لقد سكنت نفسي وايقنتُ انهُ سيقدم والدنيا عجاب امورها

ومن ذكرهم عزيف الجن في المفاوز والسباسب قول بعضهم

وخرق تحدّث غيطانهُ حديث العذارى بأسرارها

وقال آخر

ودوية سبسب سحلقي من البيد تعزف جنّانها

وقال الاعشى

وبهماء تعزف جنّانها مناهلها آجناتٌ سُدُمْ

وقال ايضًا

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في حافاتها زَجَلُ

وحدّث ابن القطامي قال كان رجل من كلب يقال لهُ عبيد بن الحمارس شجاعًا

وكان نازلا بالسماوة ايام الربيع فلما حسر الربيع وقلّ ماؤهُ واقلعت انواؤهُ تحمّل الى وادي ثُبل فرأى روضة وغديرًا فقال روضة وغدير وخطب يسير وانا لما حويت مجير فنزل هناك ولهُ امرأتان اسم احداهما الرباب والاخرى خولة فقالت لهُ خولة

ارى بلدةً قفرًا قليلاً أنيسها وانّا لنخشى ان دجا الليلُ اهلَها

وقالت لهُ الرباب

ارتك برأيٍ فاستمع عنك قولها ولا تأمننْ جنّ العزيف وجهلَها

فقال مجيبًا لها

ألستُ كميًّا في الحروب مجرّبًا شجاعًا اذا شبّت لهُ الحرب محربا
سريعًا الى الهيجا اذا حمس الوغى فأُقسم لا أُعدو الغدير منكّبا

ثم صعد الى جبل ثبل فرأى شيهمة (وهي الانثى من القنافذ) فرماها فاقصمها ومعها ولدها فارتبطهُ فلما كان الليل هتف بهِ هاتف من الجن

يا ابن الحمارس قد اسأت جوارنا وركبت صاحبنا بأمر مفظعِ
وعقرتَ لقحةَ[1] ونذت فصيلها فودًا عنيفًا في السّيف الارفعِ
ونزلت مرعى شائنا وظلمتنا والظلم فاعلمهُ وخيم المرتعِ
فلطرقنّك بالذي اوليتنا شرٌّ يجيكَ وما لهُ من مدفعِ

فاجابهُ ابن الحمارس

يا مدّعي ظلمي ولستُ بظالم اسمعْ لديك مقالتي وتسمّعِ
ان كنتم جنًّا ظلمتم قنفذًا عقرت فشرّ عقيرة في مصرعِ
لا تطمعوا في ما لديّ فما لكم في ما حويتُ وحزتهُ من مطمعِ

فاجابهُ الجنيّ

يا ضارب اللقحة بالنصب الافلْ[2] قد جاءك الموت ووافاك الاجلْ
وساقك الحينُ الى جنّ ثبلْ فاليوم اقويت[3] واعيتك الحيلْ

فاجابهُ ابن الحمارس

يا صاحب اللقحة هل انت يجلْ[4] مستمع مني فقد قلتَ الخطَلْ
وكثرة المنطق في الحرب فشلْ هيجتَ ققامًا من القوم بطلْ

(١) اللقحة الناقة الحلوب والفصيل ولدها يعني بها الشيهمة وولدها (٢) بالسيف المفلول
(٣) اقوى الرجل اذا نزل بهِ الفقر (٤) اي وحدك

ليتَ لبوثٍ واذا هَمَّ فعلْ لا يرهب الجنَّ ولا الانس أجلْ
من كان بالعقوة [1] من جن ثبلْ

قال فسمعها شيخ من الجن فقال لا والله لا نرى قتل انسان مثل هذا ثابت القلب ماضي العزيمة فقام ذلك الشيخ وحمد الله تعالى ثم انشد

يا ابن الحمارس قد نزلت بلادنا فأصبتَ منها مشرباً ومناما
فبدأتنا ظلماً بعقر لقوحنا واسأت لما ان نطقتَ كلاما
فاعمد لامر الرشد واجتنب الردى انا نرى لك حرمةً وذماما
واغرم لصاحبنا لقوحاً متبعاً فلقد أصبتَ بما فعلت أثاما

فاجابهُ ابن الحارس

الله يعلم حيث يرفع عرشهُ اني لأكره ان اصيب أثاما
اما ادّعاؤك ما ادعيتَ فانني جئت البلاد ولا اريد مُقاما
فأسمتُ فيها مالَنا ونزلتها لأريح فيها ظهرنا ايّاما
فليغدُ صاحبكم علينا نعطهِ ما قد سألتَ ولا نراهُ غراما

ثم غرم للجن لقوحاً متبعاً للقنفذ وولدها

فاما مذهب العرب في ان لكل شاعر شيطاناً يلقي اليهِ الشعر فمذهب مشهور والشعراء كافة عليهِ . قال بعضهم

اني وان كنت صغير السنّ وكان سِني في العين نبوٌّ عني
فان شيطاني امير الجنّ يذهب بي في الشعر كل فنّ

وقال حسان بن ثابت

اذا ما ترعرع فينا الغلام فما ان يقال لهُ من هُوَهْ
اذا لم يَسُد قبل شد الازار فذلك فينا الذي لا هُوَهْ
ولي صاحب من بني الشيصبان [2] فطوراً اقول وطوراً هُوَهْ

وكانوا يزعمون ان اسم شيطان الاعشى مسحلٌ واسم شيطان المخبّل عمروٌ . قال الاعشى

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا لهُ جهنّامَ جدّعاً للهجين المذمّمِ

(١) العقوة ساحة الدار (٢) الشيصبان اسم قبيلة من الجنّ

وقال آخر

لقد كان جنيّ الفرزدق قدوة ... وما كان فينا مثل فحل المخبّلِ
ولا في القوافي مثل عمرو وشيخهِ ... ولا بعد عمرو شاعر مثل مسحلِ

وقال الفرزدق يصف قصيدتهُ

كأنها الذهب العقيان حبّرها ... لسان أشعر خلق الله شيطانا

وقال ابو النجم

اني وكل شاعر من البشرْ ... شيطانهُ أنثى وشيطاني ذكرْ

ولقد كان هذا الزعم منتشراً منذ الاعصر القديمة عند اليونانيين والرومانيين فكانوا يزعمون ان للشعر ملائكة يعدونها تسعة ويسمونها (المُوز) وكانت تسكن الاماكن النضرة في الغياض والرياض وشطوط الانهار وكان اول ما يبدأ بهِ الشاعر في شعرهِ مناجاتها ومناشدتها للاستعانة بها في تنميق شعرهِ وترقيقهِ ولم يكن يقتصر هذا الزعم على الشعراء الذين هم ارباب الخيال خاصة بل ربما تجاوزهم الى العلماء والحكماء وقد كان سقراط ابو الفلسفة يدعي ان لهُ شيطاناً يلقي اليهِ الحكمة وما زالت الضلالات موروثة في الامم ولن تزال

ومن اوهامهم انهم كانوا اذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن ان يأخذوا بثاره فيأخذون روثة ويفتّونها على رأسهِ ويقولون روثةٌ راثَ ثائرك . وقال بعضهم

طرحنا عليهِ الروث والزجرُ صادقٌ ... فراثَ[1] علينا ثارهُ والطوائلُ

وقد يذرّ على الحيّة المقتولة يسير رمادٍ ويقال لها قتلك القَين فلا ثائر لك . وفي امثالهم لمن ذهب دمهُ هدرًا . هو قتيل القَين . قال الشاعر

ولا أكن كمقتيل القَين وسطكم ... ولا ذبيحة تشريق وتحارِ

وكان لهم اعتقاد عظيم في الحرزات والاحجار والرُّقى والعزائم فمنها السلوانة ويقال السلوة وهي خرزة يُسقى العاشق منها فيسلو في زعمهم وهي بيضاء شفافة . قال الراجز

لو أشرب السلوان ما سليتُ ... ما بي غنيّ عنكم وان غنيتُ

والسلوان جمع سلوانة . وقال عروة بن حزام

جعلت لعرّاف اليمامة حكمهُ ... وعرّافِ نجدٍ إن هما شفياني
فقالا نعم نشفي من الداء كلّهِ ... وقاما مع العوّاد يبتدران

(١) اي بطرهُ من الريث

فما تركا من رقية يعرفانها ولا سلوة الاَّ وقد سقياني

وقال آخر

سقوني سلوة فسلوت عنها سقى اللهُ المنيَّةَ من سقاني

اي سلوت عن السلوة ودام بي الشق

وقال الشمردل

ولقد سُقيتُ بسلوة فكأنما قال المداوي للخيال بها ازدَدِ

ومن خرزاتهم ايضاً الهنّمة تجتلب بها الرجال وتعطف بها قلوبهم . ورقيتها : اخذتهُ بالهنّمه . بالليل زوج وبالنهار أمَه . ومنها القطسة والقبلة والدرديس كلها لاجتلاب قلوب الرجال قال الشاعر

قطعتُ القيد والخرزات عني فمن لي من علاج الدرديس

واصل الدرديس الداهيّة ونقل الى هذه لقوّة تأثيرها

ومنها القرزحلة انشد ابن الاعرابي

لا تنفع القرزحلة النجائزا اذا قطعنا دونها المفاوزا

وهي من خرز الضرائر اذا لبستها المرأة مال اليها بعلها دون ضرتها . ومنها خرزة العقرة تشدها المرأة على حقويها فتمنع الحبل . ومنها اليَنجلب . ورقيتها

اخذتهُ باليَنجلب فلا يرِم ولا يغب ولا يزل عند الطنب

ومنها كرار مبنيّة على الكسر مثل قطام . ورقيتها

يا كرارِ كرّيه ان أقبل فسرّيه وان أدبر فضرّيه

ومنها الخصمة خرزة للدخول على السلطان والخصومة تجعل تحت فص الخاتم او في زر القميص او في حمائل السيف قال بعضهم

يسلق غيري خصمةً في لقائهم ومالي عليكم خصمة غير منطقي

ومنها الوجيهة وهي كالخصمة حمراء كالعقيق . ومنها العطفة خرزة العطف . والكحلة خرزة سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم . والقبلة خرزة بيضاء تجعل في عنق الفرس من العين . والقطسة خرزة يمرض بها العدو ويقتل . ورقيتها اخذتهُ بالقطسة بالثُوبا والعطسة فلا يزل في نسمهُ من امرهِ ونكسهُ حتى يزور رمسهُ . ومن رقاهم للحب . هوابه هوابه البرق والسحابه اخذتهُ بمركن خبهُ تمكن اخذتهُ بأبره فلا يزل في عبره خليته بأشقى فقلبهُ لا يهدا

عليه يبرد فقلبهُ لا يبرد . وترقي الفارك زوجها (وهي التي تبغض الزوج) اذا سافر عنها فتقول بأفول القمر وظل الشجر شمال تشمله ودَبور تدبره ونكبا تنكبهُ شيكَ فلا انتقش . ثم ترمي بحصاة ونواة وروثة وبعرة وتقول :

حصاة حصت اثره نواة نأت داره روثة راثَ خبرهُ

وقالت فارك في زوجها

أتبعتهُ اذ رحل العيس ضحى بعد النواة روثةَ حيث انتوى

الروث للريث وللنأي النوى

وقال آخر

رمت خلفهُ لما رأت وشك بينهِ نواةً تلتها روثةٌ وحصاةُ

وقالت نأت منك الديار فلا دنت وراثت بك الاخبار والرجعاتُ

وحصت لك الآثار بعد ظهورها ولا فارق التَرحال منك شتاتُ

الى هنا انتهى ما اجتمع لدينا الآن فاذا عثرنا بعد ذلك على خلافهِ لم نبخل بهِ على قراء المقتطف ولعل الفائدة تتم بهِ ان شاء الله

فصل النور بالمرض

لا يخفى ان العامّة يضعون المجدورين في غرف مظلمة حاسبين ان الظلمة او قلة النور تساعدهم على الشفاء . والغالب ان لهذا الظن سبب حقيقي والاَّ ما اتفق عليهِ جمهور العامة في اكثر البلدان . ولا يخفى ايضاً ان الاطباء يشيرون على المسلولين بالخروج الى الاماكن المطلقة الهواء الساطعة النور تعجيلاً لشفائهم او اطالةً لحياتهم . ومعلوم ايضاً ان بعض الامراض كالجدري والكولرا ينشأ وينتشر في البلدان الحارّة الساطعة النور التي قلما تحجب شمسها الغيوم وبعضها كالسل والدفتيريا ينشأ وينتشر في البلدان الباردة القليلة النور التي لا ترى الشمس فيها الاَّ نادرًا . ولذلك فلا يبعد ان يكون بين النور والميكروبات التي تولّد هذهِ الامراض علاقة ما الاَّ ان العلم لا يبنى على الحدس والتخمين اذا وُجد فيهِ سبيل للتجارب . واوّل مَن جرّبَ ذلك العالم ده رزي فلقح الحيوانات الصغيرة بميكروب السل وعرّض بعضها لنور الشمس ووضع البعض الآخر في صناديق مظلمة فوجد